Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التّمكّنِ مِنْهَا، نَعَم إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَهُ [...] فهُوَ الّذِي يَجُوزُ أَنْ يدعى فيهِ الاخْتِصَاصُ والسّبْق والتّقدُّم والأولِية، وأَنْ يُجْعَلَ فِيهِ سَلَف وخَلَف».[9]

بصفة مؤقّتة سأترك الكلام عن الصّورة الأخيرة المتعلّقة بالسّلف والخَلَف لأُركّز اهتمامي على الصّور التي تبرز مسألة الظاهر والباطن والتي تشير كلّها إلى الشّيء الثّمين يُنال بالتّعب وبالعمل الشّاق. ما لا قيمة له (المُشْتَرَك العَامّي) يكون معروضاً مشاعاً بين النّاس، أمّا الشّيء الثّمين فيكون مستوراً مكتوماً. القيمة تكمن في الباطن، ولن يظفر المرء بطائلٍ إذا اكتفى بالظاهر.

مرّة أُخرى أطرح على نفسي السّؤال التّالي : كيف سأتناول كلام الجرجاني ؟ هل سأقنع بسردِ الصّور الواردة فيه ؟ هل سأفسّرها انطلاقاً من افتراضٍ أقوم بتركيبه ؟ في هذه الحالة ينبغي أن يكون التّحليل متّسقاً ومتناسقاً. لا يكفي أن أتناول صورة منفردة وأقول إنّها ترمز إلى هذا الشيء أو ذاك. إن كثرة الصّور واتّساقها هو الذي يفرض علي أن أنتبه إلى العلاقة التي تجمع بينها وأن انتقل إلى المعنى الذي **من المرجّح** أنها ترمز إليه. لن ينفعني أن أستشهد بهذا الدارس أو ذاك، بهذا الفيلسوف أو ذاك، إذا لم تستجب النّصوص العربية للتّحليل الذي أقترحه عليها. لابدّ أن أعرض تفسيري على أكبر عدد ممكن من النّصوص الكلاسيكية بهدف التحقيق والمراجعة، لابدّ أن أقنع نفسي وأقنع الغير بأنّ هذا التّفسير يلائم الثقافة العربية.

من كلام الجرجاني السّالف الذّكر أستخرج ستّ صور هي على التّوالي :

1 ـ صورة الحجابِ الذي يجب «خَرْقُه».
2 ـ صورة الكِمّ (وهو غلاف يحيط بالثّمر والزّهر) الذي يجب «شقّه».
3 ـ صورة الدُّرّ «في قعر بحرٍ لابدّ [...] من تَكَلُّفِ الغوصِ عليه».
4 ـ صورة الشّيء (؟) في مكانٍ عالٍ، لا يُدْرَكُ «إلاّ بِتَجَشُّم الصُّعودِ إليه».

9) الجرجاني، ص. 273.